

أثر تدبر القرآن في صياغة

الشخصية المسلمة واستقامتها

الدكتور
صالح سنين صالح يعقوب

أثر تدبر القرآن

في صياغة الشخصية المسلمة واستقامتها

أثر تدبر القرآن

في صياغة الشخصية المسلمة واستقامتها

إعداد

د. صالح سنين صالح يعقوب

الهيئة العالمية
لتدبر القرآن الكريم

أثر تدبر القرآن
في صياغة الشخصية المسلمة واستقامتها

إعداد
د. صالح سنين صالح يعقوب

الطبعة الأولى

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية

٢٠١٩/٨٥٥

الرقم الدولي (ردمك)

١٤٠/١٤/٣



ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه
ومن والاه.

أما بعد:

يجيء هذا البحث متناولاً أثر تدبر القرآن الكريم في صناعة
وصياغة الشخصية المسلمة الإيجابية الناهضة بأعباء رسالتها في
الحياة، على أسس وقيم ومرتكزات التدبر الذي هو الغاية من إنزال
الكتاب الحكيم: ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ

﴾ [ص: ٢٩].

وقد تناول البحث مسألة التدبر، مستعرضاً مفهومه وقواعده،
ومجالاته وثمرته، في أربعة مطالب، ثم فصل القول وبسطه في
جانب المرتكزات التي تُبنى عليها الشخصية المسلمة معدداً تلك
الأسس التي تمثل في مضمونها، العلم، والإيمان، والعمل، والقيام
بواجب النصرة للأمة تواصياً بالحق وتواصياً بالصبر، وتعاوناً
على البر والتقوى، كما استعرض البحث في مكوّنه الثالث سمات
الشخصية المسلمة وضرورة الالتزام بتلك السمات والصفات التي

هي ثمرة التدبر وغايته، وكل ذلك تم وَفَّقَ أهداف وشواهد محددة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح من هذه الأمة مع استنباط العبر والدروس المستفادة وقد تمثلت أهم تلك الأهداف في الآتي:

١ . تعميق مفهوم التدبر من خلال ربط الوحي المسطور بالكتاب المنظور.

٢ . تأكيد أهمية التدبر في صياغة الشخصية المسلمة.

وفي ختام البحث تم تحديد النتائج في جملة من النقاط مثلت أهم محاور البحث وخلاصاته، ثم تلتها التوصيات والفهرست.

هذا... وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدىً وموعظةً وذكرى، وجعل آياته حجةً ومعجزةً تترى، تفحم الجاحدين والمشركين، وتبهر بصائر الموحدين، وتزيد ثبات المؤمنين، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا وشفيعنا محمد قدوة المتقين، وإمام المرسلين، ورحمة الله للخلق أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الإنسان من طين، ونفخ فيه من روحه وكرمه بالعقل وقوّمه وأسجد له الملائكة المقربين، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ۖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ۖ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١ - ٧٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۖ ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠]. وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۖ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

وقطعاً إن هذا التكريم والإجلال إنما جاء بسبب هذا العقل، ولأجل تلك الغاية العظيمة؛ ألا وهي: العبادة الحقّة، والتوحيد

الخالص لله الواحد الأحد، ولا عبادة تفوق أو تعدل التدبر، قال تعالى:
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال:
﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢٩﴾
[ص: ٢٩].

فهذا الإنسان قد استحق ذاك التكريم، وكُلِّف بهذه المهمة، بسبب العقل الذي مُيز به عن البهائم، ثم رُكِّب فيه شهوة جعلته دون الملائكة، فإن غلب عقله سما وارتقى، وإن غلبت شهوته انحط وكبا، ولأجل ارتقائه وسموه وعروج روحه أنزل الله الكتاب المبين هدىً ونوراً، يخاطب العقل ويستثير الوجدان وينير القلب بنور اليقين والإيمان. وإنَّ أمر الله تعالى لعباده بالتدبر في آياته المنزلة عن طريق الوحي وهو (الكتاب المسطور) أو آياته الماثلة في هذا الكون وهو (الكتاب المنظور) مسألة تستوجب من المؤمنين وقفة تأمل ونظر، وحسناً فعلت هذه الهيئة المباركة بعقدها لهذا الملتقى الفريد، فنرجو الله تعالى أن يبارك جهودها، ويتقبل منها هذا العمل المبرور.

وبالتمعق والتدبر في هذا الكتاب، نرتقي ونسمو، ونبلغ آفاق الكمال البشري الذي مثل قمته وبلغ شأوه وغايته قدوتنا ونبينا الأكرم محمد ﷺ؛ ف «عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قام ذات ليلة وتوضأ ودخل في الصلاة وبقي يصلي ويبكي حتى أذنه بلال بصلاة الصبح، قالت فقلت: يا رسول الله!

علام البكاء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال يا عائشة! أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ولم لا أفعل؟ وقد أنزل الله عليّ هذه الليلة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ ﴿١١٢﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٢]. ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»^(١)

مشكلة البحث: تتمحور مشكلة هذا البحث في أن أمر التدبر وفقهه صار ضعيفاً، إن لم نقل غائباً عند كثير ممن يقرؤون القرآن الكريم اليوم، فأصبح الشغل والهمل هو: متى الختمه؟ ولذلك تأتي الأسئلة الملحة التالية.

أسئلة البحث: تتمثل الأسئلة الرئيسة لهذا البحث في الآتي:

١. ما القيم التي يجب أن يتحلى أو يتصف بها المسلم ليوافق مشكلات الواقع المعاصر وتحدياته؟
٢. هل المسلم الحق هو ذاك الشخص الذي يؤدي فقط الفرائض دون استيعاب مضامينها ومقتضياتها؟

(١) صحيح ابن حبان، ٢/ ٣٨٧، برقم ٦٢٠.

٣. ما السبيل إلى استقامة الشخصية المسلمة على المنهج السوي الذي ارتضاه الله لعباده؟

وتقودنا الإجابة عن تلك التساؤلات إلى الفرضيات التالية:

فرضيات البحث:

١. التدبر يزيد قدرة المؤمن على استيعاب الخطاب القرآني اقتداءً بالنبي المتدبر.

٢. التدبر يرفع درجة العبد المؤمن ومقامه عند الله عز وجل.

٣. التدبر يعمّق الإيمان ويزكي النفس ويطهر القلب من الرّان.

وبالتحقّق من تلك الفرضيات، فإننا نخلص إلى أن من أهم وظائف وخصائص الإنسان المؤمن هو: التدبر والتفكير والنظر في آيات الله بشقيها المسطور والمنظور. أما إذا تعطلت هذه القوى التدبرية لدى الإنسان، أصيبت حياته بالخمول والجمود، وصار مقلدًا لا مبتكرًا، وتابعًا لا متبوعًا، ومستهلكًا لا منتجًا، كما هو واقع الأمة الإسلامية اليوم مع الأسف!

لكن: وسط الركाम نلتقط الجوهرة اللامعة، وفي دياجير الظلام يبرق الضياء الساطع، وفي زحام اليأس ينبت الأمل المشرق؛ فالأمة رغم كل ما أصابها من ضعف وتمزق، وتيه وحيره، بدأت تنهض من عقالها، وتفيق من سباتها، وتتلّمس طريقها، وإن التدبر الذي

عَدَّ اللهُ تَعَالَى مِنْ جَوْهَرِ الْعِبَادَةِ وَصَمِيمِ الذِّكْرِ، هَا نَحْنُ نَرَى رَايَاتِهِ تَرْتَفِعُ وَأَبْوَابُهُ تُشْرَعُ، اسْتِجَابَةً لِدَاعِيِ اللهِ وَنِدَائِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وأي حياة للأمة أعظم وأسعد من أن تعيش مع القرآن متدبرة له، وعاملة به، ومستقيمة على هديه؟

أهمية البحث:

ومن هنا وبناءً على تلك المعطيات، تأتي أهمية المشاركة بهذا البحث الذي جاء تحت عنوان (أثر تدبر القرآن في صياغة الشخصية المسلمة واستقامتها) فنرجو أن يحقق المطلوب، ويكون إحدى اللبنات في بناء صرح الأمة المنشود بإذن الله، وذلك وفقاً للأهداف الآتية:

أهداف البحث:

١. تعميق مفهوم التدبر من خلال ربط الوحي المسطور بالكتاب المنظور؛ حيث إن التدبر في آيات الله يقود إلى شكر آلائه، ومن ثم تحقيق عبوديته وإظهار عظمته في النفوس.
٢. تأكيد أهمية التدبر في صياغة وصناعة الشخصية المسلمة المرتجاة.

٣. المساهمة الجادة في وضع مشروع نهضة الأمة من خلال التمسك بالقرآن تلاوة وتدبراً وعملاً، ذلك لأن القرآن تلاوته تعبديّة وتدبريه، وأحكامه عملية واقعية.

٤. بلورة رؤية ثابتة وموحدة لقيمة التدبر، وذلك من خلال المشاركة الجادة في فعاليات هذا المؤتمر العلمي الأول الذي يتناول هذه القضية المهمة ذات الأولوية القصوى في حياة الأمة.

خطة البحث:

ويتألف مضمون هذا البحث وخطته من ثلاثة مباحث، تتفرع عنها عدة مطالب على النحو التالي:

المبحث الأول: (تعريف التدبر وقواعده وعلاماته ومجالاته ودرجاته وثمرته).

المبحث الثاني: (أسس صياغة الشخصية المسلمة على منهج الاستقامة وفقاً لعملية التدبر).

المبحث الثالث: (سمات الشخصية المسلمة المرتجاة استناداً على إعلاء قيمة التدبر).

ثم تأتي الخاتمة ونتائج البحث وتوصياته.

والله أسأل أن يسدد الخطى ويلهمنا التوفيق لما يحب ويرضى.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي، وقام بتوثيق الآيات والنصوص القرآنية في صلب البحث وذلك تعظيمًا وإجلالاً لهذا الذكر، أما بقية النصوص تم توثيقها بالهامش، كل صفحة على حدة كما هو مطلوب.



المبحث الأول

تعريف التدبر وقواعده وعلاماته
ومجالاته ودرجاته وثمرته

المطلب الأول

تعريف التدبر لغة واصطلاحاً

(أ) التدبر لغة:

أصل كلمة التدبر من الفعل الثلاثي (دبر) أو الرباعي (أدبر)، وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]. كما في قراءة نافع، وحفص عن عاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف العاشر، بالفعل الرباعي على وزن (أكرم).

وقوله تعالى أيضاً ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَّرَ﴾ بالفعل الثلاثي على وزن (كرم) كما في قراءة الباقرين من القراء والرواة^(١) وهم: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، والراوي شعبة عن عاصم. أما في معاجم اللغة فالكلمة لها عدة معانٍ ومدلولات منها على سبيل الإيجاز والاختصار، لأن التفصيل يندرج تحت المحور المفاهيمي.

• يأتي الدبر بمعنى: (مؤخرة الشيء) لذلك تذكر الكلمة في مقابل القبل.

(١) الغاية في القراءات العشر، للنيسابوري، ص ٢٨٢.

قال تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ قُبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣٧) [يوسف: ٢٦-٢٧].

• التدبر بمعنى (الانصراف والذهاب) كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَادْبَرَ النُّجُومَ﴾ (٤٩) [الطور: ٤٩]. أي عند ذهابها في آخر الليل مع قرب قدوم الصبح، وكما ورد في قول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ). ويقال للقوم في الحرب: ولوهم الدبر والإدبار، والإدبار التولية نفسها^(١).

• التدبر بمعنى (النظر في عواقب الأمور) وهذا لعله من الدلالات المجازية كما جاء في تاج العروس، قال جرير:

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم
ولا تعرفون الأمر إلا تدبراً

(ب) التدبر اصطلاحاً:

• هو: التفكير والتأمل في عواقب الأمور ومآلاتها والنظر فيها بوجه يوصل إلى دلالات الكلم ومراميها البعيدة.

• أو هو: التفكير باستخدام وسائل التفكير والتساؤل المنطقي للوصول إلى معاني جديدة يحتملها النص القرآني وفق قواعد اللغة

(١) العين، للخليل بن أحمد. تاج العروس، للفيروزآبادي، مادة: (دبر).

العربية، وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط أو ذاك^(١).

• والتدبر: النظر في مآل الشيء والتفكر في عاقبته، وقد استعمل في كل تأمل يقع من الإنسان في حقيقة الشيء أو أجزائه أو سوابقه أو لواحقه أو أعقابه.

• وتدبر الأمر: تأمله ونظر في أدباره وما يؤل إليه في عاقبته ومنتهاه، فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه، وتبصر ما فيه^(٢).



(١) انظر: مفاتيح تدبر القرآن، د. خالد اللاحم، ص ٢١.
(٢) انظر: روح المعاني للألوسي، ٥/ ٩٢. والكشاف للزمخشري، ١/ ٥٤٦.

المطلب الثاني

قواعد التدبر وعلاماته

تمهيد: يلاحظ المتأمل والناظر إلى كلمة (التدبر) التي وردت في السياق القرآني أن هناك آيتين نزلتا في الحديث عن النفاق والمنافقين تقريباً وتوبيخاً لهم، وهما قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢) [النساء: ٨٢] وقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤) [محمد: ٢٤]، وآيتين أخريين في سياق مخاطبة المشركين وهما قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَهُمْ بَاتٍ أَبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٦٨) [المؤمنون: ٦٨] ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَّبَرُوا عَابَتِهِ وَلِيَسْتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩) [ص: ٢٩]، ولكن الملاحظ أيضاً أن في آية سورة (ص) قراءة أخرى بالتاء (لتدبروا آياته)^(١) ترجح احتمال شمولية الخطاب، ولا يعني البتة أن هذه الآيات الأربعة في تلك السياقات يفهم منها أن التدبر ليس مطلوباً من المؤمنين، بل هم المعنيون به حقاً والأجدر والأحرى بهم أن يتدبروا كتاب ربهم ويتأملوا ويتفكروا في عظمة مخلوقاته وبديع صنعه المتقن.

(١) هي قراءة الإمام أبي جعفر المدني من القراء العشر، انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ٢/ ٣٦١.

وبعد هذا التمهيد، أدلف إلى بيان قواعد التدبر وعلاماته التي ينبغي للمؤمن أن يعيها ويفهمها حتى يعيش أجواء التدبر وفقاً لهذه القواعد.

(أ) قواعد التدبر هي:

أولاً: الإلمام بقواعد اللغة العربية وأساليبها البلاغية والبيانية، لكون القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ولسانهم، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، وقال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف: ٢]، ولغة العرب من الدين كما ذكر الإمام ابن تيمية في فتاويه^(١).

ثانياً: الوقوف على سيرة النبي ﷺ وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان ودراستها؛ وذلك لما فيها من المشاهد والمواقف والدروس والعبر التي تعين المتدبر وتعطيه النموذج العملي، والمعلوم أن النبي الكريم كان الترجمان الحقيقي لهذا القرآن، بل كان خُلُقُه القرآن كما جاء في الصحيح، فهو المبيّن لمجمله والموضح لمشكله والمطبق لأحكامه، قال تعالى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤]. لذلك

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية، ٣/ ١٤٦.

فإن دراسة السيرة أحد أهم القواعد والمعينات على تدبر كلام الله عز وجل.

الثالث: معرفة أسباب النزول، من خلال دراسة كتب التفسير بمدارسه المختلفة من فقهية ولغوية وإشارية؛ ذلك لأن كثيرًا من الآيات مرتبطة بوقائع ومناسبات وأحداث شملت في كثير من جوانبها بعض ما تعانيه الأمة من تحديات وما تواجهه من مؤامرات؛ فمثلاً إذا أخذنا الآيات التي تتحدث عن هزيمة المسلمين في معركة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وقوله تعالى عن المنافقين بُعيد غزوة بني المصطلق: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

إذا تأملنا تلك الآيات وَفَّقْ معرفتنا بأسباب النزول نجد أن القاسم المشترك في عملية الكيد والتآمر هو عنصر النفاق والمنافقين؛ فهم دائماً وأبداً ينسجون خيوط المكر ويحيكون العداء للصف المؤمن من خلال المعية والوجود داخل الجماعة، ويعملون فيها خذلاًناً وغدراً وتدميراً، ولكن الله عز وجل يفضحهم ويحبط مخططهم ويكفي

المؤمنين شرهم كما ورد في سورة الأحزاب: ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّوْعِدًا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٣) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣) [الأحزاب: ١٢-١٣].

وقال: ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١٩) [الأحزاب: ١٩].

ومن هنا تبرز أهمية هذه القاعدة في عملية التدبر، وإذا ما طبق قارئ القرآن هذه القواعد الأساسية أدرك القيمة الحقيقية لعلاقته بكتاب ربه وظهرت عليه علامات التدبر ومن ثم انعكست على سلوكه وحياته ومن ثم حصل له التغيير المنشود بإذن الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ (١١) [الرعد: ١١].

(ب) علامات التدبر وآثاره:

إن للتدبر آثارًا كبيرة على الإنسان المسلم، وهو من أهم الوسائل للارتقاء بالفرد روحياً وسلوكياً، ونفسياً، وخلقياً، والتدبر يعد أحد أهم الركائز والوسائل في صياغة وصناعة الشخصية المسلمة المستقيمة؛

إذن المتدبر يعتبر بالقصص القرآني، ويوقن بالإخبار الغيبي، وينصاع لحكم الله في حياته وواقعه، بعكس ذلك الذي لا يتدبر.

إذن فما هي تلك الآثار والعلامات على وجه الدقة والتحديد؟

أولها: التأثر والبكاء من خشية الله، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ إِذَا تُنْذِرَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾ [مریم: ٥٨]. وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٨٣﴾ [المائدة: ٨٣].

ثانيها: حضور القلب والعقل والتوقف عند المعاني: قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣﴾ [الفرقان: ٧٣].

وقال: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَدِّدًا مَثَانٍ نَقْشُورٌ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

ثالثها: زيادة الإيمان والطمأنينة والخشية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

رابعها: الفرح والاستبشار عند آيات الوعد والنعيم والرضوان رجاءً لما عند الله.

خامسها: الخوف والمهابة عند آيات الوعيد والعذاب المهين والخسران؛ لأن المؤمن الصادق يعيش دائماً بين الخوف والرجاء، فلا ييأس من الرحمة وإن قصّر ولا يغتر بعمله وإن أحسن. قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾

[المؤمنون: ٥٧-٦١].

سادسها: السجود والخضوع والذلة تهيباً لعظمة الله وإجلالاً لشأنه جلّ وعلا، فإن من لم يعظم الله ويسجد له هنا، لن يستطيع السجود له هناك. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: ٤٢].



المطلب الثالث

مجالات التدبر ودرجاته

(أ) مجالات التدبر:

إن مجالات التدبر لا تكاد تحصى، لأن هذا الكتاب هو كلام الخالق الذي لا يُحاط علمه، ولا يدرك سعة ملكه وملكوته مخلوق، لذلك فعلى المؤمن أن يبذل وسعه وطاقته في التقرب إلى الله بهذه العبادة، فنحن لن نستطيع حصر تلك المجالات لأنها غير محدودة وهي بسعة ملك الله وعلمه، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يُمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. وقال سبحانه: ﴿سَتَرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقَّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

ويكفي أن نعلم أن آيات الله الكونية فقط تبلغ (ألفاً وثلاثمائة آية كونية)، فضلاً عن آياته التكوينية وهي أفعاله، ثم آياته في قرآنه

وهو كلامه^(١)، ويمكن القول بعد هذه الإشارات: إن مجالات التدبر، تتلخص في الآتي:

أولاً: التركيب القرآني نسيج وحده:

إن التركيب القرآني جاء بلغة العرب لكنه اتسم بتفرد عجيب، يقول الدكتور مصطفى محمود واصفاً هذا الأسلوب الفريد للقرآن: (وتقتحم عليَّ العبارة القرآنية سكون طفولتي فأتذكر في ظلام الليل إلقاء الشيخ وهو يردد: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُْوسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَلَأَ بِأَنْعَامُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢٠) [القصص: ٢٠]، فتسعى العبارة إلى خيالي وكأنها مخلوق حي مستقل يسعى، له حياته الخاصة، وهذا سر من أعمق الأسرار في التركيب القرآني، إنه ليس بالشعر، ولا بالنثر، ولا بالكلام المسجوع؛ وإنما معمار خاص وتركيب متفرد من الألفاظ صُنِّتْ بطريقة تكشف عن إعجاز لا يدركه إلا المتدبر، ويمضي قائلاً: «وإن الكلمات لتذوب وتصطف وتتراص في معمار ورصف هو نسيج وحده بين كل ما قيل أو كُتب بالعربية سابقاً ولاحقاً...» إلى أن يقول مرة أخرى: «تأمل قوله تعالى: ﴿يَحِلُّ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ سَعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] ﴿فَالْقَهْوَا فَاذَاهِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ (٢٠) [طه: ٢٠] ما الفرق بين السعيتين؟ هذا مجال

(١) سلسلة محاضرات الدكتور محمد راتب النابلسي على الإنترنت قناة اليوتيوب.

من مجالات التدبر والنظر، فالمتأمل يدرك أن السعي الأول سعي الحبال التي تخيل للناظر أنها حيات حقيقية وهي في الواقع ليست كذلك؛ وإنما هو مجرد تخيل!

أما السعي في الآية (٢٠) فهو سعي حقيقي؛ فإن عصا موسى عليه السلام صارت حيّة حقيقية وابتلعت حيات الخيال السحري، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٧) [الأعراف: ١٠٧]، فما أروع هذا الإعجاز وما أجمل هذا التركيب للمفردة القرآنية! (١).

والمتأمل في هذه القصة التي وردت في سياق الصراع بين الحق والباطل، الحق الذي يمثله سيدنا موسى عليه السلام، وقد ذكر اسمه: (مائة وعشرين) (٢) مرة في الكتاب العزيز، وبين الباطل الذي يمثله فرعون، يدرك مدى أهمية التدبر، فهذه القصة التي تكررت مرات عديدة أعطتنا مؤشراً ونموذجاً لصمود الحق أمام الباطل حتى أذن الله بالنصر والفرج، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٢) وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ (٦٧) [الشعراء: ٦٣ - ٦٧].

(١) انظر: القرآن محاولة لفهم عصري ص ٩-١١، د. مصطفى محمود.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.

ثانيًا: النفس البشرية وأسرارها:

إن النفس البشرية هي إحدى أهم مجالات التدبر، وذلك لما تنطوي عليه هذه النفس من أسرار وعجائب؛ فالنفس كلمة تطلق ويراد بها الإنسان بما اشتمل عليه من روح وجسد، وهي المخاطبة بالتشريع في القرآن، وهي المأمورة والمنهية والمكلفة والمحاسبة، ولأهمية النفس فإن الله تعالى أقسم بها ضمن ثمانية أشياء في سورة واحدة، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۚ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۙ ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۚ ۝١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠] وقد ذكرت (مائتين وخمسة وتسعين) مرة في القرآن^(١)، والنفس البشرية ليست فقط لحمًا ودمًا وأعصابًا وشرابين وخلايا بآلاف الملايين... ولكنها فوق ذلك مشاعر وأحاسيس، قلب ينبض، وعقل يفكر، ونفس تسمو بالاستقامة، وقد أودع الله فيها من الأسرار ما لا يعلمها إلا هو قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۚ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢١] وقال تعالى بعد أن بيّن نشأة النفس وتكوينها: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۚ ۝١٤﴾ [المؤمنون: ١٤] فانظر أيها الإنسان كيف أن الله تعالى أخبرك بأنه خلقك من سلالة من

(١) انظر: المصدر السابق.

طين، ثم قال لك ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، يقول ابن العربي: «ليعرفك أن الشرف للتربية لا للتربة»^(١).

ثالثاً: النبوءات والغيبيات:

(أ) لقد أخبر القرآن عن مصرع المشركين وهزيمتهم في غزوة بدر قبل وقوعها، قال تعالى: ﴿سَيَهْرِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿القمر: ٤٥﴾.

(ب) وأخبر عن فتح مكة قبل حدوثه، ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿الفتح: ٢٧﴾.

(ج) كما أخبر مؤكداً انتصار الروم بعد هزيمتها من الفرس قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا بِرُءُوسِهِمْ سَيَذَلُونُ﴾ ﴿١﴾ ﴿الروم: ١﴾ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا بِرُءُوسِهِمْ سَيَذَلُونُ﴾ ﴿٢﴾ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا بِرُءُوسِهِمْ سَيَذَلُونُ﴾ ﴿٣﴾ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا بِرُءُوسِهِمْ سَيَذَلُونُ﴾ ﴿٤﴾ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا بِرُءُوسِهِمْ سَيَذَلُونُ﴾ ﴿٥﴾ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا بِرُءُوسِهِمْ سَيَذَلُونُ﴾ ﴿٦﴾ ﴿الروم: ١-٦﴾، والبضع هو ما دون العشرة وفوق

(١) انظر: قانون التأويل، ص ٤٥٨، للقاضي أبو بكر بن العربي.

الثلاثة وقد حدث أن انتصرت الروم بعد سبع سنوات فقط من هزيمتها. إنه وعد الله الحق الذي لا يخلف الميعاد.

(د) وعد إسرائيل بالفساد في الأرض مرتين.

وها هي ذي إسرائيل تعلو في الأرض وتعيثُ فسادًا وتصول وتجول طغيانًا واستكبارًا وتحلم باجتياح العالم الإسلامي والعربي في مشروعها العدواني الاستيطاني (إسرائيل من النيل إلى الفرات)، ولكنه أملٌ مكذوبٌ وعلوٌ مؤقتٌ وإلى زوال، قال تعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤] ويحدد الله مصيرهم فيؤكد: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عُلُّوا تَبِيرًا﴾ [٧] عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا ﴿٨﴾ [الإسراء: ٧-٨].

• وهنا نطرح سؤالاً يتعلق بالغيبات وعالم الأجنة والأرحام.

سئل الدكتور مصطفى محمود ذات مرة: هل الإنسان يمكنه علم الغيب؟ وجاء في قول السائل: إن الله تعالى انفرد بعلم الغيب كما جاء في القرآن، ولكن العلم الآن يستطيع أن يعرف نوع الجنين في رحم أمه ذكرًا كان أم أنثى من التحليل المعمل للدم أو البول، ومن

السائل الأمنيوسي، وأحياناً بمجرد صورة أشعة يستطيع الطبيب أن يحدد على وجه القطع والجزم جنس الجنين؟

فكانت الإجابة: «علم ما في الأرحام الذي ورد في الآية القرآنية هو: أن يعلم الله تاريخك وقدرك وقصة حياتك كلها وأنت ما زلت مضغة في رحم أمك، وليس أن يعلم فقط جنسك ذكراً أم أنثى، وكون الإنسان ذكراً أو أنثى في بطن أمه هذه مسألة جزئية بسيطة جداً لا أهمية لها، وليست هي المقصود بالعلم الإلهي لما في الأرحام، فعلم الله تعالى علم واسع شامل محيط، وهو الذي علّم الإنسان كيف يحدد النوع بتلك الأجهزة الحديثة»^(١).

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

(هـ) الزمان الأزلي والزمان الفاني.

لقد تناول القرآن الحياة الدنيا بمتقلباتها وتفاصيل حركتها ومحدودية أجلها وهي تمثل الزمان الفاني، فالدنيا منذ خلقها الله إلى أن يطوي سماءها كطي السجل للكتاب لا تمثل إلا قدراً محدوداً من الزمن، لذلك الإنسان فيها محدود العمر، محدود الإدراك والمعرفة، محدود الرزق، فكل شيء في الدنيا مؤقت وإلى زوال، قال تعالى:

(١) انظر: القرآن محاولة لفهم عصري، د. مصطفى محمود، ص ٢٥٩.

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَرَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَذَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس: ٢٤].

أما الزمان الأزلي فهو الزمان السرمدى الباقي ببقاء الله الواحد قيوم السماوات والأرض لا يتبدل ولا يفنى، إنه زمان الآخرة، وهو الزمان الذي يتحدد فيه مصير الخلق بحسب كسبهم وعطائهم في الزمان الفانى.

إن الزمان الأزلي كل شيء فيه مختلف، العمر فيه ممدود، والنعيم فيه بلا حدود والعطاء غير مجذوذ، هذا للسعداء أهل الإيمان والكسب الخالص، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا سَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُورٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٨].

أما الأشقياء أهل الشرك والكسب الخبيث فمصيرهم محدد كذلك: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ففِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا سَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧].

هذا الزمان بشقيه الفاني والأزلي تناوله القرآن الكريم بأسلوب وتفصيل يستوجب من الإنسان المؤمن التدبر الوقوف عنده كثيرًا، حتى يستدرك ما فاتته ويستعد لحياة الأزل والبقاء الأبدى السرمدي، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٦٤] العنكبوت: ٦٤.

(ب) درجات التدبر.

لا شك أن التدبر ليس كله على مستوى واحد، فهو درجات ومراتب يرتقي فيها المؤمن المتدبر حتى يبلغ مراده وغايته وهو مرضاة الله عز وجل، ويمكننا تلخيص تلك المراتب والدرجات في النقاط التالية:

• التفكير والنظر والاعتبار:

المؤمن لا يمر على الآيات مرورًا عابرًا فهو وقاف ومتأمل ومعتبر، يقلّب النظر ويمعن الفكر، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [٢١٩] البقرة: ٢١٩، وقال: ﴿وَيُبَيِّنُ عَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [٢٢١] البقرة: ٢٢١.

وإن من أجمل ما قيل في هذا المعنى كلام ابن الجوزي: «أن الله تعالى قد صنّف هذه المخلوقات فأحسن التركيب وأحكم الترتيب،

ثم عرضها على الألباب، فأى لب أوغل في النظر مُدح على قدر فهمه فأحبه المصنف، وكذلك أنزل الله القرآن يحتوي على عجائب الحكم، فمن فَتَّشه بيد الفهم وحادثه في خلوة الفكر، استجلب رضا المتكلم به، وحظي بالزلفى لديه^(١).

• الاستجابة والخضوع:

إن المتدبر يستجيب بعد الفكر والنظر، فيطيع الله ويغض البصر، ولسانه يلهج بالشكر، لأنه رزق الهداية ووفَّق إلى مرضاة الله عز وجل يقول الإمام القرطبي: «فإن من أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحًا، ومن الجرائم قصدًا، كان القرآن حجة عليه، وخصمًا لديه»^(٢)، وجاء في الصحيح: «القرآن حجة لك أو عليك»^(٣).

• استخراج الحكم واستنباط الأحكام:

حكم القرآن وأحكامه درجة من درجات التدبر لا يبلغها إلا العالمون، فهي بذلك مرتبة العلماء ومنزلة الفقهاء، يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله

(١) انظر: صيد الخاطر، لابن الجوزي، ص ٩١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي ٢/ ١.

(٣) رواه مسلم برقم: ٢٢٣.

وتفسير ذلك وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فقد ذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله، فعلينا -نحن المسلمين- أن نحذر ما ذمهم الله به، وأن نأتمر بما أمرنا الله به من تعلُّم الكتاب المنزل إلينا وتعليمه وتفهمه وتفهيمة»^(١).



(١) تفسير ابن كثير، ٢/١.

المطلب الرابع

ثمرات التدبر

إن أي نشاط أو عمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة يرغب أن يجني ثمرته ويحصل على نتيجته، فطالب العلم يريد النجاح والتفوق، والتاجر يريد الزيادة والربح، والمزارع يريد الإنتاج الوفير والمحصول الكثير، والمتزوج يريد الولد، وهكذا الحياة...

أما الغاية الكبرى التي يسعى إليها المؤمن في نهاية مطافه هو أن يجني ثمرة عمله الصالح في الدنيا، رضواناً من الله وجنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١٨٥) [آل عمران: ١٨٥].

فما هي ثمرة تدبر القرآن الكريم التي يجنيها العبد المؤمن وهو يتلو كتاب ربه آناء الليل وأطراف النهار، في صلاته وحلقات مدارسته وتعلمه، وفي حِلِّه وترحاله؟

يمكننا أن نبين تلك الثمار من خلال الإشارات الآتية:

• حصول الهداية والرحمة واليقين في القلب:

قال تعالى: ﴿ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الباقية: ٢٠]، فمن تدبر القرآن فتحت بصيرته، واهتدى إلى الحق، وتنزلت عليه الرحمة والسكينة كما جاء في حديث النبي ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(١)، فتدبر القرآن من ثمرته حصول اليقين التام بتلك المعاني، والقرآن كالماء العذب، والقلب كالشجرة لا تستطيع أن تعيش وتنمو إلا بسقي الماء، فالقلب كلما تفكر وتدبر في معاني كلام الله حصل له الري والشبع والنمو والاستقرار والهدوء والسكينة والثبات والسمو، ولما علم الله تعالى حاجة القلب إلى هذه المعاني جاء بهذا القرآن فيه القصص والأخبار والفرائض والأحكام، والوعد والوعيد والغيب والشهادة حتى يعيش القلب المتدبر حياة لا تموت^(٢).

(١) رواه مسلم، ٤/ ٢٠٧٤، رقم ٢٦٩٩، وأورده النووي في رياض الصالحين برقم: ١٠٣٠.

(٢) انظر: مفاتيح تدبر القرآن، د. خالد اللاحم، ص ٢١.

• زيادة الإيمان:

ومن ثمرات التدبر: زيادة الإيمان لأهل القلوب السليمة، لأن صاحب القلب المريض لا ينتفع بقرآن ولا يزداد إيماناً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۝١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]، فالمؤمنون يزدادون إيماناً بسبب تدبرهم وفهمهم لهذه الآيات واعتقاد ما فيها من الخير، والرغبة في الزيادة من هذا الخير مع فرح وسرور واستبشار، أما الصنف الآخر وهم المنافقون ومن في قلوبهم مرض فيتساءلون في عَمَةٍ واستغراب أيكم زادته هذه إيماناً؟ فلا يرون في هذه الآيات زيادة إيمان، بل هم في شك وحيرة وتردد وعمى، لأن القلوب مقفلة كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَفْفَالَهَا ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤].

• الشفاء من الأمراض ودفع الشبهات:

فالقرآن شفاء ودواء بلا شك ولا مرأى وهذا أمر محقق ومؤكد فمن تدبره وعاش معه نال المرام قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْتَهُ قُرْآنًا عَجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَعْجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۝٤٤﴾ [فصلت: ٤٤].

• التعلق بالآخرة والشوق إليها:

فمتدبر القرآن يشتاق إلى الله ويتوق إلى لقائه والفوز بنعيمه ورضوانه فهو زاهد في هذه الحياة، وإن ملك من متاعها ما ملك لأنها زائلة، ومتاع الآخرة خير وأبقى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٣١ طه: [طه: ١٣١]).

قال إمام التابعين الحسن البصري رضي الله عنه: «يا بن آدم والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك»^(١)، وأورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر: «همة المؤمن متعلقة بالآخرة؛ فكل ما في الدنيا يحركه ذكر الآخرة، فإذا رأى ظلمة الليل ذكر ظلمة القبر، وإن رأى مؤلماً ذكر العقاب، وإن سمع صوتاً فظيماً ذكر نفخة الصور، وإن ذكر الناس نيماً ذكر الموت في القبور، وإن ذاق لذة ذكر الجنة، فهمته متعلقة بما ثمَّ، وذلك يشغله عن كل ما تم»^(٢).

(١) ١ انظر: الزهد، ابن المبارك، ص ٢٣٢.

(٢) ٢ انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص ٣١٥.

• الاعتصام بالله وتأليف القلوب:

من تدبر القرآن عرف قيمة الوحدة والاعتصام وأدرك خطر
الفرقة والانقسام، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

• الإحساس بالأمن والطمأنينة:

حلاوة الإيمان تُتذوق باليقين والصبر، وثمرة التدبر تُجنى
بالإخلاص والصدق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ
بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

• الشعور بالرضا والقناعة:

والرضا منحة وهبة إلهية للعبد المتدبر لكلامه وهي منزلة من
المنازل، كما يقول ابن القيم في المدارج، وكذا القناعة، ويكون الرضا
بالله وبدينه ورسوله أولاً، ثم الرضا والقناعة بما قسم الله تعالى للعبد
من رزق ومتاع في هذه الحياة ليلقى رضا الله عنه في الآخرة^(١)، قال

(١) ١ انظر: تهذيب مدارج السالكين، ص ٣٦٣.

تعالى: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّاتٍ ﴿٣٠﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، وقال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً»^(١).



(١) ٢ رواه: مسلم، ٤٦/١، رقم ١٢، باب ذاق طعم الإيمان.

المبحث الثاني

أسس صياغة الشخصية المسلمة على
منهج الاستقامة وفقًا لعملية التدبر

أولاً قبلولوج في خضم هذا المبحث الذي يشكل واسطة العقد في ترتيب هذا البحث يجدر بي أن أقف على تعريف وتوضيح بعض المصطلحات التي تتعلق بمفردات هذا المبحث وهي: (الشخصية، المنهج، الاستقامة) ثم أدلف إلى الأسس والأركان التي لا تقوم الشخصية المسلمة إلا بها.

مفهوم الشخصية:

- أما الشخصية في مفهومها العام فهي: مجموع استجابات الفرد لمختلف المؤثرات والمواقف، وهي أسلوب الفرد في التعامل مع البيئة والمجتمع، ويعرفها بعض آخر بأنها التنظيم الشخصي الذي يجتمع فيه عقل الفرد وجسمه ومزاجه ومهاراته وخلقها واتجاهاته، والذي يحدد توافقه مع البيئة، ويتميز به دون غيره^(١)، هذا مفهوم عام لمصطلح الشخصية أما إذا أخذناها من المنظور التأصيلي فهي: الشخصية المتميزة بالعقيدة الإسلامية التي تؤمن بها. وتخالط شغاف قلبها، وتمتزج بأحاسيسها، فتعيش من أجلها، وتجعل

(١) ٣ المؤسسات التربوية ودورها في تكوين الشخصية السوية، أ. الجميل

محمد عبد السميع، ص ١ .

حياتها وقفاً عليها؛ إذ لا قيمة للحياة من دون عقيدة. والعقيدة لدى المسلم هي المعيار الأساسي للعمل. فأى عمل لا ينبعث من العقيدة لا قيمة له في ميزان الإسلام مهما كان جليلاً نافعاً يعود على البشرية بالخير ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿ ١٨ ﴾ [التوبة: ١٧-١٨]. وهي شخصية متميزة بسلوكها، تقف عند حدود الإسلام وشرائعه، عبادة ومعاملة وأخلاقاً، لا تتجامل ولا تداري ولا تماري ولا تدع لأي ضغط اجتماعي فرصة للتأثير عليها، ولا تتهاون في شيء من قيمها، وهي شخصية تعزز بمقوماتها من غير كبرياء، فلا تلين ولا تضعف، ولا تذوب في أي بيئة تعيش فيها، أو مجتمع يضمها، إنها شخصية تؤثر في غيرها، ولا يؤثر عليها إلا إيجاباً، وتستفيد من مورد كل خير وتغرف من كل نبع فيه حكمة فـ «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحقُّ بها»^(١).

مفهوم المنهج:

- أما مفهوم المنهج، فهو الطريق الموصل إلى الغاية، وغاية المؤمن هي مرضاة الله عز وجل ومنهجه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،

(١) صحيح الترمذي ٥/ ٥٢، رقم ٢٦٨٧. وابن ماجه ٢/ ١٣٩٦، رقم ٤١٦٩.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

مفهوم الاستقامة:

وأما الاستقامة فهي الثمرة لكل ما تقدم من شرح وبيان وتفصيل؛
فالإنسان إن لم يستقم على قناعاته وعقيدته فلا فائدة من علمه ولا من
كسبه، إذ الاستقامة هي الترجمة السلوكية لكل ما يحمله المرء من
قيم، إذن فما مفهومها؟

وللإجابة عن ذلك أقول: إن الاستقامة تعرّف لغة بأنها: (قيمة
الشيء) يقول ابن منظور في لسان العرب: «تقول أقمت الشيء وقومته
فقام أي استقام، ومنه قوله تعالى: (فيها كتب قيمة) أي مستقيمة تبين
الحق من الباطل على استواء وبرهان»^(١).

والله تعالى قد أمرنا بالاستقامة في أكثر من موضع في الكتاب
المبين فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكَبِ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت: ٦]،

(١) انظر: لسان العرب: مادة (قوم)، ط ٣، ١٢/٤٩٦.

وَبَشِّرِ الْمُسْتَقِيمِينَ وَأُنْثِي عَلَيْهِمْ قَائِلًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) [فصلت: ٣٠]، بل أمر نبيه بها مع أنه مغفور له وولد مستقيماً وأرسل بمنهج الاستقامة، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢) [هود: ١١٢].

وبالاستقامة يعيش المؤمن عزيزاً شامخاً مستعليّاً بمبادئه لا يرضي الهوان والذلة، ولا يهاب كيد الظالمين، قال الشاعر:

نحن صممنا وأقسمنا اليمين
أن نعيش أو نموت مسلمين
مستقيمين على الحق المبين
متحدّين ضلال المبطلين
جاهدين أن يسود المسلمون

مسلمون مسلمون مسلمون^(١)

وبعد توضيح هذه المفاهيم الثلاثة وبيان مدلولاتها حريّ بي أن أقف على الأسس التي تُبنى عليها تلك الشخصية المسلمة المرتجاة،

(١) انظر: ديوان نفحات ولفحات، يوسف القرضاوي، ص ١١٥، ط ١، ٢٠٠١ م.

فأقول: إنها خمس أسس: تمثل جماع الدين وقواعده، وقد وردت ثلاثة منها في سورة تحمل ثلاث آيات هي سورة العصر.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾
[العصر: ١-٣].

وقد لخصت هذه الأسس في خمس نقاط رئيسة كما يلي:

١. العلم النافع.
 ٢. الإيمان الصادق.
 ٣. العمل الصالح المخلص.
 ٤. التواصي بالحق والتواصي بالصبر.
 ٥. التعاون على البر والتقوى.
- ولا بد لي قبل شرح هذه الأسس أن أقف وقفة تأمل وتدبر مع سورة العصر التي قال أحد السلف فيها: «إن الله تعالى لو لم يُنزل غير هذه السورة لكفت الناس حجة»^(١).

ففي هذه السورة القصيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريد الإسلام، وتبرز معالم التصور الإيماني

(١) القول منسوب للإمام الشافعي، رَحِمَهُ اللهُ.

بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة، إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار وتصف للأمة المسلمة حقيقتها ووظيفتها في آية واحدة، هي الآية الثالثة من السورة، وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

وإن الحقيقة الضخمة التي تصوّرها وتقررها هذه السورة بمجموعها هي تلك الأسس (التي سنتناولها بالتفصيل والشرح)، فقد «كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة (العصر) ثم يسلم أحدهما على الآخر، لقد كانا يتعهدان على هذا الدستور الإلهي، يتعهدان على الإيمان والإصلاح، وعلى التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وعلى حراسة هذا الدستور، وعلى أنهما من الأمة القائمة على هذا الدستور»^(١).

وحان الآن لنضع المؤشر على تلك الأسس الخمسة التي تصيغ وتصنع الشخصية المسلمة المرتجاة وفق عملية التدبر، وأولها على الإطلاق:

١. العلم النافع:

وهو العلم الذي به يُعبد الله، وتعمُر القلوب، وتنصلح الحياة

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٦ / ٣٩٧١، سيد قطب.

في الدارين، وتتقدم الأمم والشعوب، وبالعلم يكتسب الإنسان قيمته وترتفع درجته، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد جعل الله أهل العلم والملائكة سواء في الشهود والإقرار بوحدانيته: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، والعلم يتفرع إلى أنواع كثيرة ولكن ملخصها في علمين اثنين:

علم بالله: وهو أفضل العلم وأعظمه ويتعلق بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وهو الذي يقود صاحبه إلى الصراط السوي كما قال تعالى على لسان خليله عليه وعلى نبينا أزكى الصلاة والسلام: ﴿يَتَابَتْ إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً على الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما

وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ^(١).

العلم بشرع الله وأحكامه: وما يدور في ملكه وبديع صنعه،
ويندرج تحت ذلك كل ما ينفع الإنسان ويقوده على إعمار دنياه
وإصلاح دينه، وهذا العلم يحتاج تحصيله إلى الصبر، والجِد،
والمثابرة، والإخلاص، والتقوى، قال تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا
طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ ۝﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال الشاعر:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونور الله لا يهدي لعاصي.
وقيل أيضًا:

أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأنبئك عن تفصيلها بيان
ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغه
وصحبة أستاذ وطول زمان^(٢).

(١) رواه الترمذي، ٤٨/٥، رقم ٢٦٨٢، تحقيق أحمد شاكر.
(٢) انظر: ديوان الإمام الشافعي، ص ٥٤ ٨١، ط دار الجيل، بيروت.

٢. الإيمان الصادق:

إن الإيمان هو الدافع المحرك لطاقة الإنسان في هذه الحياة، ويجني ثمرته ثواباً ورضواناً من الله يوم الجزاء، والإيمان أمر كسبي ينقص بالمعاصي ويزيد بالطاعات، ويقوى بالتدبر.

يقول الشهيد سيد قطب: «إن الإيمان في حقيقته هو اتصال هذا الكائن الإنساني الفاني الصغير المحدود بالأصل المطلق الأزلي الباقي الذي صدر عنه الوجود، ومن ثَمَّ اتصاله بالكون الصادر عن ذات المصدر، وبالنواميس التي تحكم هذا الكون، وبالقوى والطاقات المذخورة فيه، والانطلاق حينئذٍ من حدود ذاته الصغيرة إلى رحابة الكون الكبير، ومن حدود قوّته الهزيلة إلى عظمة الطاقات الكونية المجهولة، ومن حدود عمره القصير على امتداد الأباد التي لا يعلمها إلا الله»^(١).

والإيمان صدق ويقين وإخلاص واتصال، وأنس ومحبة وذوق، يحسه ويلمسه المتدبر القرآن الكريم والمتأمل المتفكر في الكون الفسيح، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

(١) في ظلال القرآن، ٦ / ٣٩٦٥، سيد قطب.

وإن القلب المتصل بالله تعالى عبر تدبر كتابه يمنحه هذا الاتصال قوة وامتداداً وانطلاقاً إلى آفاق أرحب وأعمق، ويمنحه إلى جانب ذلك متعة بالوجود وما فيه من جمال، ومن مخلوقات تتعاطف أرواحها مع روحه، فإذا الحياة رحلة في مهرجان إلهي مقام للبشر في كل زمان وفي كل أوان، وهي سعادة رفيعة وفرح نفيس، وأنس بالحياة والكون كأنس الحبيب بالحبيب، وهو كسب لا يعدله كسب، وفقدانه خسران لا يعدله خسران^(١).

والمتدبر عبادته وصلته بالله عن يقين وإيمان راسخ، لذلك فهو يربح ولا يخسر بعكس غير المتدبر كما قال عنه الحق سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝﴾ [الحج: ١١].

٣. العمل الصالح المخلص:

والعمل الصالح هو ثمرة الإيمان الصادق، وهو الحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب، وإن العمل الذي يجد صاحبه الأجر والثواب عند الله تعالى لا بد أن يتحقق فيه شرطان.

(١) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

١. **الإخلاص لله وعدم الشرك والرياء:** فأى عمل ليس القصد منه وجه الله تعالى لا يؤجر عليه العبد، بل يؤجر على النية الخالصة وإن لم يتم تنفيذ العمل، لأن الأعمال بالنيات والعبارة بالمقاصد، فإن صح المقصد ثبت الأجر والعكس صحيح. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠] وقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، ولأن العمل عبادة، فقد أمر الله تعالى فيه بالإخلاص. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينٌ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

٢. **الإتباع لا الابتداع في أمور الدين،** بمعنى موافقة العمل للشرع، فالمؤمن مأمور في أعماله الدينية باتباع هدي النبي ﷺ، ودون ذلك الزيغ والضلال ورد الأعمال، كما جاء في الصحيح: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١). قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥٠﴾ [القصص: ٥٠].

(١) رواه مسلم، ٥/ ١٣٢، رقم ٤٥٩٠.

٤ . التواصي بالحق والتواصي بالصبر :

التواصي بالحق والصبر تبرز من خلالهما صورة الأمة المسلمة أو الجماعة المؤمنة وذلك الكيان الخاص والرابطة المميزة، والوجهة الموحدة، الجماعة التي تشعر بكيانها كما تشعر بواجبها، والتي تعرف حقيقة ما هي مُقدمة عليه من الإيمان والعمل الصالح، فتتواصى فيما بينها بما يعينها على حمل الأمانة الكبرى.

والتواصي بالحق ضرورة لأن النهوض به عسير، والمعوقات في سبيله كثيرة منها: هوى النفس، ومنطلق المصلحة، وضغوط البيئة، وطغيان الظالمين، وتربص المرجفين، وحسد الحاسدين.

والتواصي يعين على كل ذلك، وهو تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى في الهدف والغاية والأخوة في تحمُّل العبء والأمانة، فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية، إذ تتفاعل معاً فتتضاعف، وهذا هو الدين، وهذا هو الحق لا يقوم إلا في حراسة جماعة متعاونة متواصية، ومتكافلة ومتضامنة على هذا المثال وهذا النموذج^(١).

أما التواصي بالصبر، فهو كذلك ضرورة في هذا الطريق الطويل، طريق الأنبياء والمرسلين، والدعاة المصلحين، فالقيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق والعدل وبسط الخير، من أعسر ما

(١) انظر: في ظلال القرآن، ص ٣٩٦٥.

يواجه الفرد والجماعة، فلا بد فيه من الصبر، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣٥) [الأحقاف: ٣٥].

والصبر جزاؤه جزيل، وأجره عظيم. ﴿قُلْ يَعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠) [الزمر: ١٠].

٥. التعاون على البر والتقوى:

التعاون هو أساس النجاح في الحياة، فلا تسير الأمور بالآثرة وحب الذات، والتعاون يخلق الألفة والمحبة والتراحم بين الناس، ويذهب العداوات ويزيل الشحناء والبغضاء، والتعاون على البر هو أصل جماع الخير كله، فقد أمر الله به وأكد عليه فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢) [المائدة: ٢]. وقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ

وَالضَّرَاءَ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
[البقرة: ١٧٧].

وإن التدبر هو الذي يثمر كل تلك القيم ويحيلها إلى سلوك ومعاملات تمشي بين الناس، والتعاون أساس متين تبنى عليه الشخصية المسلمة العاملة المتواصية بالحق والصبر والمؤثرة الخير للآخرين، والباذلة المعروف والإحسان في ودِّ وتصاف وعفو ورضا. وأما التقوى، فهي التشمير في طريق السير إلى الله باستقامة وبصيرة، وهي إكسير حياة المؤمن الصالح العامل المتجرد المخلص لله عز وجل، بها يحوز الرضوان ويتبوأ غرف الجنان، ويرث الخير في دار البقاء والحياة السرمدية، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [٦٣] ﴿ [مريم: ٦٣] وقال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٢] الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكُظْمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [١٣٤] ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فهذه هي الأسس والقواعد التي تبنى عليها الشخصية المسلمة وفقاً لعملية التدبر في كتاب الله المسطور والمنظور، فما هي سمات تلك الشخصية؟

هذا ما سنجيب عنه بتفصيل في المبحث الثالث.



المبحث الثالث

سمات الشخصية المسلمة المرتجاة،
استنادًا على إعلاء قيمة التدبر

وقفنا في المبحث السابق على مفاهيم مهمة وبيّنا معنى الشخصية والمنهج والاستقامة، والآن وقبل الدخول في تفاصيل تلك السمات وبسطها حري بي أن أقف على بيان تعريف مصطلح السمة؛ فما هي السمة؟

تعرّف السمة بأنها: العلامة والصفة التي تميز الشيء من الآخر، قال تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقال: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦] وقال تعالى عن المؤمنين المتبعين هديه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وإن سمات الشخصية المسلمة كثيرة وفيرة، فبحسب استقامتها وقربها من الله تكثر صفاتها الخيرة وتبرز علاماتها النيرة التي تميزها عن غيرها، ولكن أهمها يتمثل في الآتي:

١ . علمها بالله ورسوخ إيمانها به:

فالشخصية المسلمة المتدبرة لكلام الله تعالى إيمانها بالله راسخ لا يتزعزع مهما كانت المخاطر والخطوب، وقلبها مليء بالثقة والتوكل على الله.

لأن الإيمان ليس ادعاء، بل إقرار بالقلب واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان. قال تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٤]، وثبات الإيمان وتمكُّنه من القلب المتدبر يجسده قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ثم تأتي النتيجة والعاقبة لهم، كما قال تعالى في السورة نفسها: ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

٢ . لزوم طاعتها لله والاستقامة على منهجه:

ولزوم الطاعة تعني الحرص على أداء فرائض الله وفق ما شرع لأنها تمثل رأس مال العمل الصالح للعبد المؤمن المتدبر، والحرص على ألا يفترقك الله حيث أمرك، وألا يجدك حيث نهاك، ويمثل هذا

جماع التقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

٣. تعظيمها لشعائره:

وذلك باحترام وتوقير كتابه وسنة نبيه والعمل بهما في السراء والضراء، والرضا عن الله بقدره وقضائه، كل ذلك يحصل من المؤمن المتدبر وهو يستشعر عظمة الله وقدرته وعزته، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿٣٢﴾ [الحج: ٣٢].

٤. محبتها واتباعها لهديه:

المحبة ليست كلامًا يقال، ولا ادعاء بغير فعال، ولكنها عمل واتباع لما أمر به الخالق في كل تصرف يصدر عن المخلوق. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١] وقال في وصف عباده الذين يحبهم ويحبونه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

وحلاوة الإيمان تدرك برسوخ محبة الله تعالى في قلب المؤمن المتدبر. قال النبي الأكرم ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة

الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»^(١)، والحب في الله والبغض فيه من كمال الإيمان، ولا يتحقق ذلك إلا بالصدق في الطاعة والانقياد للمحسوب، كما قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا محالٌ في القياس بـديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع^(٢)

٥. مداومتها على الذكر والشكر:

إن العبد المؤمن المتدبر ليس بغافلٍ ولا لاهٍ، وإنما هو في ذكرٍ متصلٍ دائمٍ وشكرٍ على آلاء الله ونعمه، فالحياة عنده كلها لله عز وجل عبادة وقربة. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [٤٢] [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وإن التدبر يقود الشخص المسلم إلى شكر آلاء الله عليه لأنه

(١) انظر: في ظلال القرآن، ص ٣٩٦٥.

(٢) رواه البخاري ١/ ١٠، رقم ١٦، كتاب الوحي، باب حلاوة الإيمان.

صار من عباده العارفين بحقوق ربهم عليهم وهم قليل، كما أخبر سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

والشكر له مراتب لا يحققها إلا المتدبر وهي: أولاً: معرفة المنعم وتعظيم النعمة. والأمر الثاني: الشعور والإحساس بالنعمة. والأمر الثالث: المبادرة إلى إسداء هذه النعمة إلى الغير. وبالشكر تدوم النعم.

٦. إحسانها إلى الخالق والخلق:

ومن سمات الشخصية المسلمة أفراد خالقها بالعبادة الخالصة، وإتقان العمل في أي مجال من مجالات الحياة، ذلك لأن الله تعالى خلقنا للعبادة ولا يريد منا إلا إحسان العمل وإتقانه، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

وإحسان العبادة هو الإخلاص فيها، وإحسان العمل إتقانه وإجادته ومراقبة الله تعالى فيه.

جاء في حديث جبريل الصحيح: «الإحسان أن تعبد الله كأنك

تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١)، وإن المؤمن الصادق الملتزم المتدبر لكلام ربه يحسن إلى كل الخلق، إنسانه، وحيوانه، وجماده، لأن كل هذه المخلوقات مسخرة له ومن ثمَّ وجب عليه حسن التعامل معها حين الانتفاع بها، قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجمانية: ١٣].

لذلك يشمل الإحسان كل سلوك الإنسان حتى مع الحيوان، قال ﷺ: «إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»^(٢)، وفوق هذا وذاك، إحسان الظن بالله تعالى من كمال الإيمان. والمحسن حبيب إلى الرحمن قريب من رحمته، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال: ﴿رَحِمَتُ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

٧. عفتها واعتدائها بنفسها:

المسلم المستقيم على الحق يُعرف بعفته إذا استُثيرت شهوته، وبعزته إذا استُفزت كرامته، فهو عفيف اليد واللسان، طاهر القلب والجنان، لا يقبل الضيم والخذلان، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾

(١) انظر: ديوان الإمام الشافعي ص ٥٨.

(٢) رواه البيهقي في سننه، ١٠/٢٠٣، برقم ٢٠٦٦٠.

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [المنافقون: ٨]،
 وقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾
 [آل عمران: ١٣٩]. وقال جل شأنه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ
 عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ
 يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
 وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال أحد الحكماء في شأن الاعتداد والاعتزاز بالنفس وعدم
 تقليد الغرباء:

كل من أهمل ذاتيته فهو

أولى الناس طرّاً بالفناء

لن يرى في الدهر شخصيته

كل من قلّد عيش الغرباء

وروي عن الإمام الشافعي كلام نفيس عن أصحاب الهمم العالية
 ورافضي المذلة والانكسار للغير:

أمطري لؤلؤاً جبال سرنديب

وفيضي آبار تَكَرُّر تبرا

أنا إن عشت لست أعدم قوتاً

وإذا مت لست أعدم قبراً

همتي همت الملوك ونفسي

نفس حر ترى المذلة كفرا^(١)

٨. صدقها وأمانتها:

الصدق قيمة، والصدق حال، والصدق أقوال وأفعال، وهو الذي يميز أهل الإيمان من أهل النفاق، وهو صفة وسمة تلازم المؤمن ولا تنفك عنه أبداً.

لذلك فهو من أخص خصائص المؤمن، وقد أمرنا الله تعالى بأن نكون في معية الصادقين ووعدنا بالمغفرة والأجر الكبير قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩) [التوبة: ١١٩]: وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والصدق يقود إلى الجنة، قال ﷺ: «عليكم بالصدق، فإنه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار»^(٢).

(١) انظر: ديوان الإمام الشافعي، ص ٤٢.

(٢) من حديث رواه البخاري في الأدب المفرد، ١/ ٢٥٣، برقم ٧٢٤.

وجاء في مدارج السالكين «الصدق هو سيف الله في أرضه، ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تردّ صولته، ومن نطق به علت عند القوم كلمته، فهو روح الأعمال ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، وهو الباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين»^(١).

٩. إيثارها بالخير للآخرين:

والإيثار خلق عظيم، وسمة وخصلة مدح الله رب العالمين بها عباده الأنصار حين آووا، ونصروا إخوانهم المهاجرين، فحريّ أن يتصف بها المؤمن السالك درب الأولين؛ حتى يتقي الشح والأنانية ويكون من المفلحين. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِيهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والمؤمن شعاره دائماً الإيثار، لا الأثرة، يقدم ما عنده طلباً لثواب

(١) انظر: مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٢/ ٢٦٨، للإمام ابن قيم الجوزية.

الله. قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان: ٨-٩]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهد [أصابه التعب من الجوع] فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى الأخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال النبي ﷺ: من يضيف هذا الليلة؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنومهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، ففعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: لقد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة»^(١).

١٠. بالصبر تبلغ ما تريد:

ونختم هذه السمات الخاصة بالشخصية المسلمة بصفة الصبر التي تمثل نصف الإيمان كله، فحريٌّ وجديرٌ بالمسلم المتدبر أن يتحلى بها حتى يتذوق حلاوة القرآن التي شهد بها ذلك المشرك حينما استمع إلى القرآن فقال: «إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة»^(٢)،

(١) رواه مسلم، ٣/ ١٦٢٥، رقم ٢٠٥٤.

(٢) هذه الكلمة قالها: (الوليد بن المغيرة)، فنزل فيه قوله تعالى: (فقتل كيف قدر...) انظر: تفسير ابن كثير.

وإن الله تعالى قد ذكر الصبر في القرآن تسعين مرة، والصابرون هم
المعتبرون بآيات الله كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ
كَالْأَعْلَامِ ۝٣٢﴾ إِنَّ بَشَأً يُسْكِنُ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣٣﴾ [الشورى: ٣٢-٣٣].

ونختم هذه السمات للشخصية المسلمة المرتجاة، بكلام نفيس
للإمام الأجرى الذي يقول في هذا الشأن: «إن المسلم عليه أن يتقي
الله في السر والعلن، باستعمال الورع في مطعمه ومشربه، وملبسه
ومسكنه، وأن يكون بصيرًا بزمانه وفساد أهله، فهو يحذرهم على
دينه، يكون مقبلًا على شأنه، مهمومًا بإصلاح ما فسد من أمره، حافظًا
للسان، مميزًا الكلام، إن تكلم، تكلم بعلم، وإن سكت، سكت بعلم،
قليل الضحك، لا يغتاب أحدًا، وإن مزح قال حقًا، باسط الوجه،
طيب الكلام، لا يمدح نفسه بما فيه فكيف بما ليس فيه؟ لا يحسد
أحدًا على نعمة، ولا يشمت بمصيبة، ولا يسيء الظن بأحد إلا لمن
يستحق، متواضع في نفسه، إذا قيل له الحق قبله من صغير أو كبير،
يطلب الرفعة من الله لا من المخلوقين، يؤدب نفسه بالقرآن، ويكون
له القرآن شاهدًا وشفيعًا وأنيسًا وحررًا»^(١).

(١) انظر: أخلاق حملة القرآن. ص ١٤٦، محمد بن الحسين الأجرى (ت ٣٦٠)
تحقيق د. محمد النقراشي.

وأخيرًا فإن المسلم الملتزم يتمثل تلك الصفات، ولا يقرب أضدادها، وإن زلَّ أو نسي فيؤب ويرجع من قريب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧].

ونختم هذه الرقائق بكلام قيّم للإمام ابن حزم في مقارنات منطقية تستحق الوقفة والتأمل فقد قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «إن طالب الآخرة مشبه بالملائكة، ليفوز بالرضوان والجنة، وطالب الشر، مشبه بالشياطين فمصيره النكال والجحيم، وطالب الجاه مشبه بالسباع المفترسة فمصيره الانقراض، وطالب اللذات مشبه بالبهائم فمصيره ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمْنَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢]، وطالب المال لأجل المال فمشبه بقارون وأبي بن خلف، ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ [٣]، **كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْأُخْطَمَةِ** [الهمزة: ٣-٤]، والعاقل هو: المسلم التقي، القوي، النقي، الذي لا يغتبط بصفة يتفوق فيها السباع والبهائم والجمادات؛ وإنما يغتبط بتقدمه في الفضيلة وحلبة القرآن وتدبر كلام الواحد الديان، وهي الصفة التي يشارك فيها الملائكة كما ذكرنا ذلك في المقدمة، فكل من قوي إيمانه، وحسن عمله، واتسع علمه، وكمل إخلاصه، وتميز بحسن خلقه، فليغتبط أيما اغتباط بذلك، فإنه لا يتقدمه

في هذه الوجوه الشريفة إلا الملائكة المقربون وخيار الناس
المكرمين^(١).

فهنيئاً لمن كان هذا مقامه، وبنيّ على تلك القيم شخصيته، وصاغ
على منهج التدبر سلوكه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) انظر: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ١٨-١٩، للإمام بن حزم.

الخاتمة



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تُنال الخيرات، وبكرمه تُرفع الدرجات وبغفوه تُمحى الأوزار والسيئات، وبتوفيقه تُدرك الغايات، ثم الصلاة والسلام على نبينا وقدوتنا محمد صاحب المعجزات، وعلى آله وصحبه أولي النهى والمكرمات، وعلى من سار على نهجهم واقتفى آثارهم إلى يوم الوقفة في العرصات، أما بعد:

فإن عملية التدبر منهج وسلوك مستمر، يسير مع المؤمن طوال رحلة حياته، وما هذا المؤتمر إلا حلقة في محيط الخضم الهائل لأسرار القرآن وتدبر آيات الله في ملكه وملكوته ووحيه المسطور.

ومن خلال هذا الاستعراض لأثر تدبر القرآن الكريم في صياغة واستقامة الشخصية المسلمة المرتجاة قد توصلت إلى النتائج التالية.

نتائج البحث

١. إن عملية التدبر تقود حتمًا مع المداومة إلى استقامة الشخصية المسلمة وتهذيبها، لأن أحب الأعمال إلى تعالى أدومها وإن قلت.

١ - إن عملية التدبر مهمة للغاية بالنسبة للشخص المسلم وتنبع هذه الأهمية من الآتي:

• أن التدبر مأمور به من الله تعالى.

• أن التدبر يقود إلى زيادة الإيمان بالله عز وجل

• أن التدبر غاية في ذاته لأنه الثمرة الحقيقية لتلاوة القرآن.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۚ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١] وحق التلاوة المراد به في الآية الكريمة هو تحقيق التدبر.

٢. التدبر يعلي مرتبة العبد المؤمن عند معبوده، فالتفاضل والدرجات عند الله تعالى بثلاثة أمور:

أولها: العلم النافع. ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ثانيها: العمل الصالح: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

ثالثها: التقوى: ﴿إِن أكرمكم عند الله أتقاكم ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. وكلها لا تُنال أو تتحقق إلا من خلال التدبر.

التوصيات:

أولاً: العمل على تكثيف مخرجات فقه التدبر وذلك بالآتي:

(أ) إنشاء قنوات تلفزيونية وإذاعية (fm) لبث فقه التدبر.

(ب) إصدار مجلة دورية أو صحيفة شهرية لعكس تجارب وأنشطة المجموعات والأفراد الذين يعيشون حياة التدبر.

(ج) عمل مطويات ونشرات في المناسبات الإسلامية تبصّر المسلمين بأهمية قراءة القرآن الكريم بالتدبر.

ثانياً: العمل على إنشاء روابط اجتماعية، وثقافية، وعلمية، في أوساط الشباب والطلاب والمرأة وخاصة (الناشئة)؛ وذلك بهدف غرس قيم التدبر والتفكير في الكتاب العزيز:

وينشأ ناشئ الفتيان منا

على ما كان عوّده أبوه

وما دان الفتى بحجبا ولكن

يعوّده التّدين أقربوه

ثالثاً: العمل على إنشاء وتأسيس فروع (للهيئة العالمية للتدبر)

في كل الدول الإسلامية، لا سيما وسط الأقليات والجاليات المسلمة في أوروبا وأمريكا، ودول الغرب عامة. والله الموفق والمستعان.



فهرس المصادر والمراجع



١. القرآن الكريم.
٢. الأخلاق الفاضلة قواعدها ومنطقاتها، د. عبد الله بن ضيف الله، ط ١ / ١٤١٧ هـ.
٣. أخلاق حملة القرآن، محمد بن الحسين أبوبكر الأجرى (ت ٣٦٠) / ١٩٨٧ م، القصيم بريدة المملكة العربية السعودية.
٤. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم، ط ٢ / ١٩٨٥، دار الكتب العلمية - بيروت.
٥. تاج العروس، الفيروز أبادي، ط ١ / دار إحياء التراث العربي.
٦. تدبر القرآن، سليمان السنيدي، ط ١ / ٢٠٠١ م، الناشر مجلة البيان.
٧. تفسير القرآن العظيم، الحافظ بن كثير، دار المعرفة بيروت / ١٩٨٣ م.
٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط ٣ / ١٤٢٠، بيروت دار الكتب العلمية.
٩. الجامع الصحيح، الإمام الترمذي، تحقيق أحمد شاكر.

١٠. ديوان الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي، ط ٣ / ١٩٧٤ م، دار الجيل بيروت لبنان.

١١. زاد المعاد في هدي خير العباد، الإمام ابن القيم، ط ١٤ / ١٤٠٧ م، مؤسسة الرسالة.

١٢. شبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنت) مواقع ومنتديات مختلفة.

١٣. صحيح ابن حبان، ط ١، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ م.

١٤. صحيح مسلم، الإمام مسلم بن حجاج القشيري.

١٥. فتح الباري في شرح البخاري، الإمام بن حجر العسقلاني.

١٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، مطبعة دار الشروق، ١٩٨٣ م.

١٧. قانون التأويل، القاضي أبو بكر بن العربي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

١٨. القرآن محاولة لفهم عصري، د. مصطفى محمود، ط ٨ / دار المعارف القاهرة.

١٩. الكشف، للإمام أبي القاسم بن جابر الله الزمخشري - دار الفكر.

٢٠. لسان العرب، لابن منظور، ط ٣ / دار إحياء التراث العربي.

٢١. مدارج السالكين، لابن القيم ط ١ / ١٩٩٩ م.

٢٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢ / ١٩٨٩ م، تحقيق عبد الرحمن فاخوري.

٢٣. مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد اللاحم، ط ١ / ١٤٢٥ هـ.

٢٤. مفاتيح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للإمام السيوطي، ط ١، دار السلام-لبنان، ١٤١١ م، تحقيق عبد الرحمن فاخوري.

٢٥. نفحات ولفحات (شعر) أ.د. يوسف القرضاوي، جمع وتقديم أ. حسني أدهم جرار، دار التوزيع والنشر الإسلامية-القاهرة ط ١ / ٢٠٠١ م.

٢٦. النفس البشرية كما تحدّث عنها القرآن، خليل محمد خليل، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ.



فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
ملخص البحث	٧
المقدمة	٩
المبحث الأول: تعريف التدبر وقواعده وعلاماته ومجالاته ودرجاته وثمرته	١٧
المطلب الأول: تعريف التدبر لغة واصطلاحاً	١٩
المطلب الثاني: قواعد التدبر وعلاماته	٢٢
المطلب الثالث: مجالات التدبر ودرجاته	٢٨
المطلب الرابع: ثمرات التدبر	٣٩
المبحث الثاني: أسس صياغة الشخصية المسلمة على منهج الاستقامة وفقاً لعملية التدبر	٤٥
المبحث الثالث: سمات الشخصية المسلمة المرتجاة، استناداً على إعلاء قيمة التدبر	٦١
الخاتمة	٧٧
فهرس المصادر والمراجع	٨٣